الفصل الأول

«التربية الإسلامية»

- تعريفها
- مصادرها
- أهدافها
- خصائصها

التربية الإسلامية

تعريف التربية الإسلامية:

عُرِّفت التربية الإسلامية بعديد من التعريفات. لعل من أبرزها التعريف القائل بأنها: «بناء الإنسان بناءَ متكاملاً متوازنًا ومتطورًا، من جميع الوجوه جسميًا وعاطفيًا وعقليًا واجتماعيًا وخلقيًا وجماليًا وإنسانيًا، كى يكون هذا الإنسان بشخصيته المنسجمة لبنة حية فعالة فى بناء مجتمعه»[1].

وقد أجاد التعريف فى الربط بين بناء الفرد وبناء المجتمع، لأن الفرد لبنة من لبنات المجتمع، وفى اهتمام التربية بالفرد اهتمام بالمجتمع، ولأن بناء المجتمع وتنميته يقوم أول ما يقوم على بناء الفرد وتنميته. غير أنه يلاحظ على هذا التعريف، أنه لم يشترط بناء الفرد وبناء المجتمع على أساس تعاليم الدين الإسلامى. وبالتالى يمكن أن ينطبق التعريف على أية تربية، ولأى فرد، ولو لم يكن الفرد مسلمًا، وعلى أى مجتمع، ولو لم يكن المجتمع مجتمعًا مسلمًا. ويلاحظ عليه بأنه لم يشر إلى بعض الجوانب الهامة من شخصية المسلم، كالجانب الاعتقادى والجانب الروحى، وغيرهما من جوانب تتطلبها الشخصية المتكاملة. كما أنه أشار بأن فى الشخصية جانبًا إنسانيًا، فى الوقت الذى لا يكون فيه ذلك جانبًا مستقلاً بذاته، وإنما فى حقيقته مزيج من عدة جوانب تتكامل فيما بينها، كالجانب الخلقى والجانب الاجتماعى، والجانب العاطفى أو النفسى، لتقدم مجتمعة الشق الإنسانى فى الشخصية.

ومن هذه التعريفات للتربية الإسلامية، ذلك التعريف القائل بأنها: «مجموعة

التصرفات العملية والقولية، المأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أو الاجتهاد فى ضوئهما. والتى يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر، بهدف مساعدته فى اكتمال جوانب نموه وتفتيح استعداداته وتوجيه قدراته وتنظيم طاقاته، ليتمكن من ممارسة النشاطات وتحقيق الغايات التى يحددها الإسلام»[٢].

وقد أجاد التعريف فى تأكيده أن تتم عملية التربية وفق ما جاء به الإسلام، فأخذ التعريف بذلك الطابع الإسلامى. وإن كان قد تكرر التأكيد مرتين ـ فى أول التعريف وفى آخره ـ وكان يكفى الأخير منهما، وإذا كان التعريف قد أشار إلى جوانب النمو لدى المتربى، إلا أنه لم يبين ما هى هذه الجوانب التى تكون الشخصية، فجاء التعريف بذلك مبهمًا وفى صورة لا يستطيع معها القارئ تحديد تلك الجوانب. كما يلاحظ على التعريف أنه قصر عملية التربية على ما يقوم به إنسان بإرادته مع إنسان آخر، غافلاً بذلك دور التربية المصاحبة وغير المقصودة ودور التقليد والمحاكاة، وغافلاً كذلك دور التربية الذاتية، وما يمكن أن يكتسبه الإنسان فى تنمية ذاته دون مساعدة من أحد، كأن يكون باطلاعاته الخاصة، أو من خلال تفكره وتبصره وتدبره فى ملكوت الله الواسع. كما يؤخذ على التعريف تركيزه على تنمية الفرد دون ذكر واضح وصريح لتنمية المجتمع، رغم أهمية المجتمع وتنميته.

ومن هذه التعريفات للتربية الإسلامية، أيضًا، التعريف القائل بأنها: «مجموعة الخبرات والمعارف والمهارات التى تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد تنميتهم تنمية شاملة متكاملة، جسميًا وعقليًا ووجدانيًا، وتعديل سلوكهم فى الاتجاه الذى يمكنهم من عمارة الأرض وترقيتها، وفق منهج الله وشريعته»[٣].

وإذا كان التعريف قد طبع التربية بالطابع الإسلامى، إلا أنه قد حصرها فى تنمية بعض الجوانب ـ الجسمى والعقلى والوجدانى ـ غافلاً بقية الجوانب الأخرى فى شخصية المسلم. كما حصر التربية فى الخبرات والمعارف والمهارات

التى تقدمها مؤسسة تعليمية للمتعلمين فيها، فكأنما التربية ليست بحاجة إلى الطعام والشراب والوقاية والعلاج. . . وكأنها لاتتم إلا فى المؤسسات التعليمية دون المؤسسات التربوية الأخرى، ولاتتم إلا على أيدى المعلمين بتلك المؤسسات التعليمية، دون اعتبار لما يمكن أن يقوم به الآخرون من أفراد أو جماعات، ودون اعتبار لما يمكن أن يتم من خلال التربية الذاتية. كما يؤخذ على التعريف حصره لأهداف التربية الإسلامية فى هدف عمارة الأرض وترقيتها، فى الوقت الذى يجيئ فيه ذلك الهدف كهدف جزئى يندرج تحت هدف نهائى للتربية الإسلامية، هو تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى وبمفهومها الشامل، الذى يحقق عمارة الأرض وترقيتها، والفوز بالدار الآخرة.

ومن هذه التعريفات ـ أيضًا ـ للتربية الإسلامية، التعريف القائل بأنها: «تلك المفاهيم التى يرتبط بعضها ببعض، فى إطار فكرى واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التى أتى بها الإسلام، والتى ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدى تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام»(٤).

وقد أجاد التعريف فى طبعه للتربية بالطابع الإسلامى، وإن كان ذلك قد جاء بموضعين منه، يكفى الأخير منهما. كما لم يقصر التعريف اهتمام التربية الإسلامية بالفرد دون المجتمع، فجاء ذلك ضمنيًا فى عبارة «. . أن يسلك سالكها. .» سواء كان السالك فردًا أم مجتمعًا. ويلاحظ على التعريف أنه لم يوضح جوانب التربية التى يمكن تنميتها فى شخصية المُربى. فجاء التعريف بذلك فى صورة مبهمة يصعب على القارئ فهمها وتحديد معالم الشخصية المعنية بالتربية.

ومن هذه التعريفات ـ كذلك ـ للتربية الإسلامية، ذلك التعريف القاضى بأنها: «تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية. فى جميع مراحل نموه، فى ضوء المبادئ والقيم التى أتى بها الإسلام وفى ضوء أساليب وطرق التربية التى بينها»(٥).

وقد أجاد التعريف فى صبغه للتربية بالصبغة الإسلامية، وإن كان ذلك بأكثر من موضع، حيث قال: «تكوين إنسان مسلم»، وعاد فقال: «فى ضوء المبادئ والقيم التى أتى بها الإسلام»، ثم رجع فى موضع ثالث وقال: «فى ضوء أساليب وطرق التربية التى بينها» ـ أى الإسلام. وفى ذلك تطويل فى غير موضعه، وكان يمكن اختصاره بموضع واحد. ويمتاز التعريف بإبرازه لعديد من جوانب شخصية المُرَبى، وإن كان قد أغفل جوانب أخرى ـ كالجانب الاجتماعى والجانب النفسى وغيرهما من جوانب ـ تتطلبها شخصية المسلم. ويلاحظ على التعريف اعتباره للجانب الإبداعى جانبًا منفصلاً عن الجانب العقلى، فى الوقت الذى يجيئ فيه الإبداع من نتاج العقل، والاهتمام به وبتنميته يكون ضمن الاهتمام بالجانب العقلى وتنميته. كما يؤخذ على التعريف اقتصاره على الفرد وتنميته، دون ذكر أو إشارة إلى المجتمع وتنميته، رغم أهمية تنمية المجتمع وتقدمه. فالتربية الإسلامية والدين الإسلامى لا يهتمان بالفرد كفرد، وإنما يهتمان به كلبنة فى بناء مجتمعه، بل وفى بناء الإنسانية ككل.

وعلى ضوء التعريفات السابقة، يمكن تقديم التعريف التالى للتربية الإسلامية، والذى يقضى بأنها: «التنمية الشاملة لجميع جوانب شخصية الفرد: (جسميًا وعقليًا واعتقاديًا وروحيًا وخلقيًا واجتماعيًا ونفسيًا وإراديًا وجنسيًا، وجماليًا)، فى ضوء ما جاء به الإسلام. حتى يكون هذا الفرد عابدًا لله وحده» عبودية تحقق له الفوز بالدنيا والآخرة، وتجعله لبنة خيرة فى بناء مجتمعه وإسعاد البشرية».

ولهذا التعريف عدة خصائص ومميزات يمكن تقديمها فى النقاط التالية:

١- شموله لجوانب شخصية الفرد المختلفة: الجسمية والعقلية والاعتقادية والروحية والاخلاقية والاجتماعية والنفسية والارادية والجنسية والجمالية؛ حتى لا يجد القارئ صعوبة فى تصوره لشخصية المسلم.

٢- تأكيده أن التربية الإسلامية إنما تهتم بجميع جوانب الشخصية وبتنميتها.

٣- تأكيده أن تنمية الفرد إنما تكون فى إطار المجتمع، مما يؤكد أن بناء المجتمع

وتنميته إنما يتم من خلال بناء أفراده وتنميتهم. فقوة المجتمع من قوة أفراده، وتقدمه من تقدم إنتاجهم الفكرى والمادى، وصلاحه من صلاحهم.

٤- تأكيده على أن خيرية المسلم لا تقف عند حدود بلده، وإنما تتعداها لإفادة البشرية بكاملها.

٥- تأكيدة على أن التنمية إنما تتم فى ضوء تعاليم الدين الإسلامى سواء كان ذلك من حيث ما نادى به الإسلام من قيم ومبادئ، أو أساليب وطرائف، أو وسائل وغايات، أو بمختلف مراحل حياة الفرد فى دنياه، مع تهيئته للفوز بأخراه.

٦- لم يحصر التعريف التربية الإسلامية فى حدود ماورد بمصدريها الإساسيين (القرآن والسنة) وحدهما، وإنما جعلها ترتوى من أية مصادر أخرى بجانبهما، شريطة أن يكون ذلك على ضوء المصدرين الأساسيين ولايتعارض معهما.

مصادر التربية الإسلامية:

١- القرآن الكريم:

وهو المصدر الأساسى الأول للتربية الإسلامية، والذى تستمد منه، وفى هديه، أهدافها، ومادتها، وطرقها ووسائلها، والذى على ضوئه تقيّم تلك التربية وتعدل. فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها. «فمن أقدر من الله خالق كل شىء على تقديم الهداية الكاملة للبشرية؟ وأى منهج غير المنهج الإلهى يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية ويفى بمطالبها ويغذى عواطفها ومشاعرها، ويتابع تطورها ونموها، ويستوعب قضاياها، ويلاحق أزماتها ويلائمها فى تطورها الصاعد، ويقودها على طريق الكمال بتؤدة ورفق؟»[٦].

والقرآن الكريم، هو كلام الخالق العليم، والذى فيه «يخاطب النفس الإنسانية

مخاطبة العليم بأسرارها، الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها»[٧]. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

والقرآن الكريم ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ [الطارق: ١٣، ١٤]. وهو القول الحق الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]. والذى فيه الهداية والصلاح، كما قال فيه الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. وكما وصفه الرسول الكريم بقوله: (عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم. هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرّد، ولا تنقضى عجائبه. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح. ومن دعى إليه هُدى إلى صراط مستقيم)[٨].

وللقرآن الكريم تطبيقاته وآثاره التربوية، التى يصعب - إن لم يستحيل - حصرها. وذلكم لكثرتها، من جهة، ولقصور العقل البشرى عن ادراكها كاملة، من جهة أخرى. وكل ما يمكن تقديمه هنا، هو مجرد محاور أو مجالات عامة، يندرج تحت كل منها عدد كبير من تلك الفوائد والآثار التربوية.

وهذه المجالات هى:

أولاً: آثاره فى تربية (الفرد) تربية شاملة ومتكاملة. جسميًا، وعقليًا، واعتقاديًا، وروحيًا، وخلقيًا، واجتماعيًا، ونفسيًا، واراديًا، وجنسيًا، وجماليًا.

ثانيًا: آثاره فى تربية (الجماعة) وتنظيم الحياة فى داخلها، أيًا كانت هذه الجماعة: جماعة الأسرة، أو جماعة السكن والجوار، أو جماعة الرفاق والصحبة، أو جماعة الشركاء فى تجارة أو عمل، أو غير ذلك من جماعات، وله آثاره فى تربية كل من هذه الجماعات وتنظيم حركة الحياة فيها، ومن جميع جوانبها: الاجتماعية، والإنسانية، والخلقية، وغير ذلك من جوانب.

ثالثًا : آثاره فى تنمية وبناء (المجتمع) و (الأمة)، مع إمكانية اتساع الأمة لتشمل البشرية بكاملها. ومن جميع جوانب شخصية المجتمع والأمة: دينيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، واخلاقيًا، وعسكريًا، وحضاريًا.

٢- السنة النبوية:

وهى المصدر الأساسى الثانى للتربية الإسلامية. وهى «كل ما أُثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة»[٩]. وهى «الصورة العملية التى طبق بها النبى ﷺ وأصحابه أوامر القرآن ومقاصده»[١٠].

والسنة النبوية لا تتعارض مع القرآن الكريم، ولا تحيد عنه. وإنما هى إيضاح لما جاء به وتبيان. فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال مؤكدًا على صواب تلك السنة وبعدها عن الهوى والضلال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]. فالسنة «إما مؤكدة لما فى القرآن الكريم، أو مبينة له بتفصيل لمجمله، أو تقييد لمطلقه وتخصيص لعامه»[١١].

وقد أكد المولى سبحانه وتعالى على ضرورة التمسك بسنة رسوله ﷺ، حيث قال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]. وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وللتمسك بالسنة النبوية آثار وفوائد تربوية جمة، يصعب - إن لم يستحيل - حصرها، لكثرتها، من جهة، ولارتباطها وتمشيها مع القرآن الكريم الذى لا تنحصر فوائده ولا تنقضى عجائبه، من جهة أخرى. وإذا كان القرآن الكريم منهجًا شاملاً للحياة بكاملها، فى مجال التربية، وفى غير مجال التربية، فإن للسنة النبوية آثارها وفوائدها فى المجال التربوى، «بإيضاح المنهج التربوى الإسلامى المتكامل الوارد فى القرآن الكريم»[١٢]، إيضاحًا قوليًا وعمليًا. فنجده ﷺ «يقدم لنا نحن المربين من خلال حياته العملية ومن خلال أحاديثه عديداً من

اللمحات والنظرات والمواقف ما يشكل فى جملته معينًا رائعًا نستطيع أن نغترف منه الكثير فى عالم التربية والتعليم»[١٣].

وهكذا يمكن تلخيص الآثار والفوائد التربوية للسنة النبوية فى عدة محاور رئيسية ـ يندرج تحت كل منها عدد يصعب حصره من تلك الآثار والفوائد ـ على النحو التالى:

١- تأكيد المنهج التربوى الشامل المتكامل الوارد فى القرآن الكريم.

٢- شرح وإيضاح ذلك المنهج التربوى الإلهى، ولاسيما فيما يتعلق بالتفصيل لمجمله[١٤]، والتقييد لمطلقه والتخصيص لعامه.

٣- التطبيق العملى لذلك المنهج التربوى القرآنى، فى شخصيته ﷺ، ثم فى شخصيات صحابته رضوان الله عليهم أجمعين. فقد كان خلقه القرآن، كما كان خير قدوة لصحابته.

٤- أوامره وتوجيهاته المربية. لأنه المعلم والمربى الرائد، فى تربيتنا الإسلامية، بعد أن تلقى تربيته على يدى الرب سبحانه وتعالى.

٣- الفكر التربوى للسلف الصالح والتابعين:

والسلف الصلاح «هم الأوائل الذين اتبعوا سنة الرسول ﷺ، وكانوا عليها أمناء»[١٥]، وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله. وفكرهم التربوى نابع من الدين الإسلامى، ومستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

والتابعون هم كل من تبعهم بإحسان فى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، والتربى على أساسهما. ومن ثم جاء فكرهم التربوى ـ أيضًا ـ مستمدًا من المصدرين الأساسيين، القرآن والسنة.

وقد «أعطى القرآن الكريم للناس مراتبهم، فجعل السابقين من المهاجرين والأنصار فى مقدمة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، ثم جعل الباب إلى هذا الرضى مفتوحًا لمن تبعهم بإحسان»[١٦]. فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ

الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن هؤلاء التابعين: «أئمة الفقة الأربعة: أحمد والشافعى ومالك وأبو حنيفة، وأمثالهم من الأئمة الآخرين. وأئمة الحديث النبوى: البخارى ومسلم والنسائى والترمذى، وأشباههم»[١٧].

ومن التابعين أيضًا علماء التربية الإسلامية، وإن لم يكونوا قد ركزوا اهتمامهم فى أمر التربية وحدها، فقد برعوا فى مجالات أخرى مختلفة من الحياة وكتبوا فيها بجانب ما كتبوه فى التربية، أو كتبوا فى التربية ضمن ماكتبوه فى تلك المجالات. ومن بين هؤلاء على سبيل الذكر لا الحصر: «الإمام جعفر الصادق (... - ١٤٨هـ)، والخليل الفراهيدى (... - ١٧٥هـ) والجاحظ (... - ٢٥٥هـ)، وابن سحنون (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ)، وابن الجزار القيروانى (٢٨٥ - ٣٦٩هـ)، وأبو الحسن العامرى النيسابورى (... - ٣٨١هـ)، وابن أبى زيد القيروانى (٣١٠ - ٣٨٦هـ)، والقابسى (٣٢٤ - ٤٠٣هـ)، وابن عبد ربه الأندلسى (... - ٤٠٣هـ)، وأبو حيان التوحيدى (٣١٠ - ٤١٤هـ)، وابن مسكويه (... - ٤٢١هـ)، وابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ)، والماوردى (... - ٤٥٠هـ)؛ وابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)، وابن عبد البر القرطبى (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)، والخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٣هـ)، والغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ)، وابن عربى (... - ٥٤٣هـ)، وابن طفيل (٥٠٠ - ٥٨١هـ)، وابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧هـ)، وابن رشد الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٧هـ)، وفخر الدين الرازى (٥٤٣ - ٦٠٦هـ)، والزرنوجى (... - ٦٢٠هـ)، وعز الدين الشافعى (٥٧٧ - ٦٦٠هـ)، ونصر الذين الطوسى (٥٩٧ - ٦٧٢هـ)، وابن أبى أصيبعة الخزرجى (٦٠٠ - ٦٦٨هـ)، وابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) وبدر الدين ابن جماعة (٦٣٩ - ٧٣٣هـ)، وابن الحاج العبدرى (٦٥٧ - ٧٣٧هـ)، ومحمد

الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، وابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ)، والتاج السبكى (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، وابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) واحمد بن أبى جمعة المغراوى (٠٠٠ - ٩٢٩هـ)، وحاجى خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ)، ومحمد ابن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ)، وخير الدين التونسى (١٢٣٧ - ١٣٠٧هـ)، وعلى مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١هـ)، وعبد الرحمن الكواكبى (١٢٧١ - ١٣٢٠هـ)، ومحمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، ومحمد رشيد رضا (١٢٩٣ - ١٣٥٤هـ)»[١٨].

والتربية الإسلامية تنهل من فكر هؤلاء السلف والتابعين لهم بإحسان ومن سلوكياتهم وتعاملاتهم ومما قاموا به من أعمال وما قدموه من خدمات. فتنهل من فكرهم التربوى الإسلامى الذى نجده ممزوجًا فى «فقه الفقهاء، وأدب الأدباء، وفكر المفكرين، وفلسفة الفلاسفة، ثم فى الفكر التربوى المستقل لفلاسفة التربية المسلمين»[١٩].

ذلك الفكر التربوى الثرى، الذى تناول التربية من مختلف أبعادها وجوانبها. والذى يمكن بلورته فى عدة محاور، من أبرزها:

١- أهداف التربية وأهداف التعليم.

٢- مادة التربية ومنهج التعليم.

٣- جوانب التربية ومجالاتها.

٤- أساليب التربية وطرقها.

٥- وسائل التربية ووسائل التعليم.

٦- مراحل التعليم وأوقات الدراسة.

٧- آداب المتعلم.

٨- واجبات المعلم.

٩- إلزامية التعليم وتمويله.

١٠- تقويم التربية وتقويم التعليم.

٤- أى فكر تربوى لا يتعارض مع تعاليم الإسلام:

بعد أن تنهل التربية الإسلامية من مصدريها الأساسيين (القرآن ـ والسنة)، ثم من الفكر التربوى للسلف الصالح والتابعين لهم بإحسان، يحق لها أن تأخذ من أى فكر تربوى عالمى (شرقى أو غربى ـ قديم أو معاصر)، شريطة ألا يكون ما تأخذه هذا متعارضًا مع تعاليم الدين الإسلامى.

فذلك رسول الله ﷺ يأمر من يتعلم لغة اليهود، حتى يأمن مكرهم عند عقد المواثيق معهم. وهو نفسه عليه السلام يستعين بخبرة أحد مشركى قريش كدليل على الطريق فى هجرته من مكة إلى المدينة وهو «عبد الله بن أريقط» الذى كانت مهمته سلوك طريق غير معروف، تضليلاً للقوم المشركين»[٢٠]. وهو بذلك يؤكد على ضرورة الإستفادة من معارف الآخرين وخبراتهم متى اقتضت الضرورة ذلك.

والرسول المربى ﷺ، كما حث على طلب العلم، وجعل طلبه فريضة وتعلمه عبادة، طالب بالبحث عن ذلك العلم مهما كان موطنه. فقال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو فى الصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٢١]. وقال: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أولى الناس بها»[٢٢] ـ وفى رواية: «العلم ضالة المؤمن، حيث وجده أخذه»[٢٣]. مؤكدًا بذلك ضرورة الأخذ والاستفادة من علوم الآخرين وخبراتهم، بصرف النظر عن مواطنهم ودياناتهم.

وقد عنيت التربية الإسلامية، ولاسيما فى عصورها الذهبية، بالاطلاع على علوم الآخرين، «وترجمة ما يستحق الترجمة منها»[٢٤]. فوصل «تشجيع الخلفاء للعلماء والمترجمين بأن كانوا يعطونهم وزن كتبهم ومؤلفاتهم وترجماتهم ـ فى العلوم المختلفة ـ ذهبًا، تشجيعًا لهم على ذلك، كما حذا حذوهم فى ذلك المضمار وزراؤهم وكبار رجال الدولة»[٢٥].

والتربية الإسلامية فى الوقت المعاصر، ليست بتربية منغلقة، ويجب ألا تكون

منغلقة، على ذاتها. بل هى تربية منفتحة ونامية، ويجب أن تكون كذلك. لأن هناك أمورًا متغيرة، تتغير تبعًا لظروف المجتمع والعصر، مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية لمواجهة مثل هذه الظروف والمتغيرات.

ولكن فى انفتاح التربية الإسلامية المعاصرة على التربيات والحضارات الأخرى المعاصرة، انتقاء وغربلة، مع اخضاع كل ما تأخذه لتعاليم الدين الإسلامى. ومعنى هذا «أن الانفتاح على ثقافات العالم، ونظمه التربوية، وحضارات العالم، وأخذ الجيد، مما يمكن أن ينفع فى النظام التربوى الإسلامى، بحيث لا يتعارض مع الثوابت ـ لمن الواجبات التى يجب أن تأخذ بها تلك التربية»[٢٦]؛ لأن التقدم العلمى والحضارى للأمة الإسلامية، واللحاق بركب التطور والرقى والازدهار العالمى المعاصر، إنما يتم فى ظل نظام تربوى يساير التقدم الحادث فى الأنظمة التربوية المعاصرة.

أهداف التربية الإسلامية:

يمكن تقديم أهداف التربية الإسلامية مجملة فى هدف عام واحد، ثم فى عدة أهداف فرعية تندرج تحت الهدف العام، على النحو التالى:

أولا: الهدف العام للتربية الإسلامية:

وهو [تحقيق العبودية الخالصة لله]: وذلك هو غاية التربية الإسلامية، تلك الغاية التى من أجلها خُلق الإنسان. وأكدها الحق تبارك وتعالى فى أكثر من موضع بكتابه العزيز، فقال سبحانه، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال موجهًا خطابه لرسوله الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقل: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١]، و﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

ومفهوم العبودية فى الإسلام مفهوم واسع وشامل، لا يقتصر على نطاق العبادة بمفهومها الواسع، حيث «الإقرار بالربوبية لله»[٢٧]، و«أداء الشعائر التعبدية»[٢٨]، من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها، بل العبادة والعبودية بالمفهوم الواسع، حيث «إسلام الوجه لله وحده، وألا يُشرك معه أى شىء من مخلوقاته، والخضوع لنظام الله ولدينه، والعمل فى جميع الميادين خالصًا لوجهه، فى الحياة الخاصة والعامة. وإخضاع الإنسان إرادته لإرادة الله والتقيد بأوامره ونواهيه، والسير المستمر فى الطريق الذى رسمه لعباده. وأن يسخر الإنسان قواه وطاقاته المادية والمعنوية للأعمال الخيرة لوجه الله ولرفع كلمة الله

ورفع شأن المسلمين أينما كان وحيثما وجد»[٢٩]. أى أنها العبودية الخالصة لله بمفهومها الواسع، الذى «يشمل نشاط الإنسان كله، من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل، مادام الإنسان يتوجه بهذا النشاط إلى الله ويلتزم فيه شرعه ويسير على منهجه»[٣٠].

وعبودية الإنسان لله وحده، عبودية مكرَّمة، لأنها تحرر الإنسان من كل أنواع العبوديات والرق الأخرى. ففى عبودية الإنسان للرازق سبحانه وتعالى تحرير له من عبوديته للمادة والمال، ومن استعباد كل من يدعى بأن أرزاق العباد بأيديهم.. وفى عبودية الإنسان للقوى الجبار تحرير له من العبودية للظالمين والطغاة، وكل من يدعى بأن رقاب العباد تحت سيفه.. وفى عبودية الإنسان للشافى الحقيقى سبحانه وتعالى تحرير له من العبودية لأسباب الشفاء أو للسحرة والكهنة والمشعوذين وما شابههم.. وفى عبودية الإنسان للحافظ الوهاب، تقوية للإرادة، وطمأنينة للنفس بأنه سبحانه وتعالى سيحفظ له المال، والولد، والقوة، والصحة، وكل ما وهبه له عز وجل من نعم.. وهكذا يكون ذلك الإنسان إنسانًا عابدًا صالحًا، ومعدًا لخيرى الدنيا والآخرة.

وإذا كان هدف التربية الإسلامية العام هو تحقيق العبودية الخالصة لله وحده سبحانه وتعالى، وذلك على مستوى الإنسان كفرد، وكجماعة وكمجتمع، فإن هذا يتطلب تحقيق عدة أمور، على المستوى الفردى والجماعى والاجتماعى، لعل من أبرزها:

١- تعريف الإنسان بربه وبالعقيدة الصحيحة ـ عقيدة التوحيد، والتمسك بتلك العقيدة.

٢- أداء العبادات المفروضة من الله على عباده.

٣- التطبيق لشرع الله والالتزام بتعاليمه ومنهجه تطبيقًا واقعيًا فى الحياة.

٤- الدفاع عن دين الله وحمايته من أن يُنال منه.

٥- الدعوة لنشر دين الله وتمكينه فى الأرض.

ثانيا: الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية:

يمكن تلخيص أهداف التربية الإسلامية الفرعية فى أربعة أهداف، على النحو التالى:

[١] التنمية الشاملة لشخصية المسلم:

فينمى المسلم جسميًا وعقليًا واعتقاديًا وروحيًا وخلقيًا واجتماعيًا ونفسيًا وإراديًا وجنسيًا وجماليًا، ويتم كل ذلك فى ضوء تعاليم الدين الإسلامى(٣١).

١- فينمى جسميًا، بالتغذية الطيبة المناسبة، وبالوقاية من الأمراض ومسبباتها، وبالعلاج منها إذا أصيب بأى منها، وبالأنشطة والتدريبات الرياضية المناسبة.

٢- وينمى عقليًا، بتغذية العقل بالعلوم والمعارف المحمودة، وبوقايته من الأفكار والمعارف المذمومة، وبوقاية العقل. أو مخ الإنسان ـ من كل الأمراض العقلية ومسبباتها. وبعلاجه منها إذا أصيب بأى منها، وبتنشيط العقل وتدريبه على التفكير السليم. وعلى التبصر والتدبر فى آلاء الله.

٣- وينمى اعتقاديًا بتعريفه بربه، وبالعقيدة الصحيحة وبالاعتقاد فيه وحده لاشريك له. ثم الإيمان بملائكته لأنهم رسله، وبكتبه لأنها مرسلة من عنده، وبرسله المرسلين من قبله إلى البشر، وباليوم الآخر لأنه يوم قضائه بين عباده، وبالقدر لأنه حكمه وقضاؤه. كما ينمى اعتقاديًا بالتبصر والتدبر فى عظيم صنع الله فى كل ما خلق ـ ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨]. مع التبصير بوسائل الحاقدين والمغرضين الذين يريدون النيل من عقيدة الإسلام، والرد على افتراءاتهم بالحجة والبرهان.

٤- وينمى روحيًا، بإخلاص العبادة لله وحده، فتوجه النية إليه فى صلاة وصيام وزكاة وحج ودعاء وذكر، وغير ذلك من صنوف العبادة، مع الاتصال الدائم بالله فى كل الأوقات والأعمال.

٥- وينمى خلقيًا، بمعرفة الفضيلة والقيم الأخلاقية الإسلامية، والعمل وفقًا لها، وباجتناب الرذيلة وتطهير النفس منها.

٦- وينمى اجتماعيًا، بتعريفه بحقوقه وواجباته، بمختلف الدوائر فى محيط الأسرة والعشيرة، وفى نطاق الجيران وأهل البلدة والمجتمع، وعلى مستوى الإنسانية عامة. ثم العمل بمقتضى العلاقات الاجتماعية الطيبة بكل هذه الدوائر.

٧- وينمى نفسيًا، بضبط الغرائز والانفعالات، وتوجيه الميول والاهتامامات، وبالوقاية من الأزمات والمشكلات النفسية ومحاولة تفاديها إذا حدثت، وبالوقاية والعلاج من الأمراض النفسية.

٨- وينمى إراديًا، بتقوية العقيدة، من جهة، وبإخلاص العبادة لله، من جهة ثانية، وبالتمسك بالحقوق وأداء الواجبات، من جهة ثالثة.

٩- وينمى جنسيًا، بالتعرف على تعاليم الدين وآدابه والعمل بمقتضاها، فيما يتعلق بالرغبات الجنسية وضبطها، والإشباع الجنسى وطرقه. وبالوقاية من الانحرافات الجنسية، وكذا الوقاية والعلاج من الأمراض التناسلية.

١٠- وينمى جماليًا، بتعرف القيم الجمالية والعمل وفقًا لها؛ حيث تعود النظام واحترامه، والعمل على النظافة الجسم والثياب، وللمسكن والبيئة والمجتمع. وحيث الإحساس بالجمال والحفاظ عليه وتنميته. وحيث التبصر ببديع صنع الله ودقة صنعته.

[٢] إعداد المسلم لعمل من الأعمال الصالحة:

فيعد المسلم لمواجهة متطلبات الحياة، بإعداده لمهنة أو لحرفة، أو بإعداده لوظيفة يكتسب منها المال الذى يحقق له ولمن يعول مطالب الحياة، وينفع غيره ومجتمعه، بل ويمكن أن يفيد المجتمعات الأخرى بهذا العمل. فالمجتمع الإسلامى إنما يعبئ قواه الإنتاجيه تعبئة تحافظ على سلامة كيانه، وتحفظ كرامة أفراده، حتى لا يكون من بينهم من تستذله الحاجة أو تفتنه الضائقة.

وقد اهتم الإسلام بالعمل وترك التسول اهتمامًا كبيرًا، شريطة أن يكون عملاً صالحًا. كما يحرص الإسلام ـ فى الوقت نفسه ـ على اتقان العمل والإخلاص

فيه، ليستفيد الإنسان العامل ويفيد غيره، وليفوز بدنياه وأخراه. فذلك قول الحق تبارك وتعالى يتردد على الأسماع ليل نهار: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٥] وقوله: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾ [الكهف: ١١٠]. كما قرن سبحانه وتعالى بين الإيمان والعمل الصالح، حيث قال: ﴿.. **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾، مكررًا ذلك فيما يقارب السبعين آية قرآنية.

والعمل المقصود هنا، هو كل عمل يقرب الإنسان إلى الله. وأطيب الأعمال طلب الكسب الحلال ـ كما قال بذلك رسول الله ﷺ: «أطيب الكسب عمل الرجل بيده»[٣٢]، وقال: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[٣٣]، أى من له حرفة أو مهنة أو أى عمل شريف. وقال مؤكدًا ضرورة إتقان العمل والإخلاص فيه: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[٣٤].

وبقدر ما للعمل من مكانة سامية فى الإسلام، يتوقف عليها وعلى صلاح العمل فوز الإنسان فى دنياه وأخراه، ينال الإعداد للعمل اهتمام الأفراد والمجتمع واهتمام القادة والمسئولين والرعية وطالبى الأعمال. فذلك رائد المربين وقائد القادة والمسئولين ﷺ، قد ضرب المثل العملى فى حث الرعية على العمل، وحث الحكام والمسئولين على تهيئة الفرص لإعداد الرعية للعمل المفيد ـ للرعية وللمجتمع ـ وإعانتهم على تقلد أماكنهم بمواقع العمل.

فعن أنس رضى الله عنه «أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ، فسأله فقال له ﷺ: أما فى بيتك شىء؟ قال: بلى، حلس يلبس بعضه ويبسط بعضه، وقعب يشرب فيه، قال ﷺ: آتنى بهما. فأتاه بهما. فأخذهما رسول الله وقال: من يشترى هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال ﷺ: من يزيد على درهم، مرتين أو ثلاثًا. فقال رجل: أنا أخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى. وقال عليه السلام: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا فأتنى به، فأتاه به، فشد فيه ﷺ عودًا بيده. ثم قال عليه

السلام: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا. فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا. فقال رسول الله ﷺ؛ هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة»[٣٥].

وهو فى ذلك قد أعان ووجه الصحابى توجيهًا مهنيًا، فى ضوء حاجاته واستعداداته، وفى ضوء إمكانات المجتمع ومافيه من أشجار للاحتطاب، وأيضًا وجهه فى ضوء احتياجات المجتمع لما سيوفره ذلك الفرد لأفراد المجتمع من أحطاب[٣٦].

كما أكد علماء التربية المسلمين ضرورة توجيه المتعلم إلى المهنة المناسبة، وإلى ما يعده لهذه المهنة من تعليم وتدريب. على أن يراعى فى ذلك التوجيه (التربوى والمهنى) ميول المتعلم وقدراته واستعداداته. فذلك ابن سينا يقول: «أن يعلم مدبر الصبى (أى معلمه) أن ليس كل صناعة (أى مهنة) يرومها الصبى ممكنة له مواتية. لكن ما شاكل طبعه وناسبه... فلذلك ينبغى لمدبر الصبى إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبى ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعة بحسب ذلك»[٣٧]. كما يقول الزرنوجى: «إن على المعلم أن يشخص طبيعة الطفل المبتدئ ومستوى ذكائه، ويعلمه على مقدار وسعه من العلوم الضرورية فى الحياة... ثم يتجه به إلى العلوم أو الحرفة حسب استعداداته وتكوينه»[٣٨].

ويتطلب تحقيق ذلك الهدف ـ من أهداف التربية الإسلامية ـ عدة أمور، لعل من أبرزها:

١- توفير كافة أنواع التعليم والتدريب ـ على المستويين الحكومى والشعبى ـ للإعداد لمختلف المهن والأعمال التى يحتاجها المجتمع.

٢- توفير خدمات التوجيه التربوى والمهنى بالمدارس وبمؤسسات الإعداد والتدريب المختلفة، لوضع الإنسان المناسب فى الوظيفة أو العمل المناسب.

٣- تشجيع وإعانة كل من تتوافر لديهم مؤهلات العمل على تقلد مناصبهم وشغل أماكنهم فى مواقع العمل والإنتاج.

[٣] بناء أمة خيرة:

فمثلما تهتم التربية الإسلامية ببناء وتنمية الإنسان (الفرد)، الصالح الخير، الذى يأخذ معايير الصلاح والخيرية من تربيه تحت مظلة العبودية لله وحده، فإنها تهتم وبنفس الدرجة ببناء وتنمية (المجتمع) بل المجتمعات و(الأمة) الإسلامية الصالحة الخيرة، والتى تأخذ معايير الصلاح والخيرية من نموها وبنائها تحت نفس المظلة، مظلة العبودية لله وحده.

فالتربية الإسلامية تهدف إلى بناء أمة خيرة. وعند مقارنتها بالأمم الأخرى، فإنها تكون خير أمة أخرجت للناس ـ كما قال الحق تبارك وتعالى فى شأنها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فهى خير أمة، كما أرادها الحق، بإيمانها بالله، وخلوص العبودية فيها له وحده، وتمسكها بتعاليمه، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر داخليًا وخارجيًا، وظهورها ـ قولاً وعملاً ـ بمظهر القدوة الحسنة لغيرها من الأمم، ودعوة تلك الأمم للدخول فى دين الله، والعيش تحت مظلة العبودية الخالصة لله وحده.

والتربية الإسلامية تهدف إلى تنمية الأمة تنمية شاملة، من جميع جوانب شخصيتها: دينيًا، وأخلاقيًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا، وحضاريًا. حتى تكون أمة خيرة لذاتها ولغيرها ـ إن لم تشمل هذا الغير ـ على أن تتم هذه التنمية فى ضوء تعاليم الدين الإسلامى[٣٩].

١- فتنمى الأمة الإسلامية دينيًا، بتمسكها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ـ عقيدة التوحيد، وباخلاص العبودية فيها لله وحده، وبتطبيقها لشريعة الله فيها... إلى غير ذلك من تعاليم إسلامية تبنيها دينيًا.

٢- وتبنى وتنمى الأمة الإسلامية أخلاقيًا، بتمسكها بالقيم الأخلاقية الإسلامية

سواء كانت أخلاقًا فردية أو أسرية أو اجتماعية، وما يتبعها من عادات وتقاليد وأعراف، أو كانت أخلاقًا دولية إنسانية.

٣- وتبنى الأمة وتنمى اجتماعيًا، بالبناء الاجتماعى السليم، داخل الإسرة، وفى مجتمع الجوار، وفى المجتمع ككل، ثم بالبناء الاجتماعى الإنسانى على مستوى الأمة الإسلامية والمجتمع الدولى.

٤- وتبنى وتنمى الأمة سياسيًا، بتطبيقها لشرع الله وتسيير شئون الحكم والسياسة فى ربوعها على أساس من الشورى والعدالة، وطاعة الحاكم ونصحه، وغير ذلك من مبادئ السياسة الإسلامية.

٥- وتبنى وتنمى الأمة اقتصاديًا، بالعمل والانتاج، وبالاستثمار فيما هو مشروع، وبترشيد الانفاق والاستهلاك، وبالبعد عما حرمه الله، ومن سرقة واختلاس ومن ربا وتطفيف فى الكيل والميزان، وأكل أموال الناس بالباطل.

٦- وتبنى الأمة وتنمى عسكريًا، بإعداد العدة للحماية والدفاع، والحيطة والحذر من غدر الأعداء، وبالجهاد والاستبسال وخوض غمار الحرب إذا اقتضى الأمر ذلك، مع الجنوح للسلم والدعوة للسلام قبل ذلك وبعد.

٧- وتبنى الأمة وتنمى حضاريًا، بالاهتمام بالعلم والتعليم، وبالاستمرار فى البحث العلمى، لإحراز التقدم ـ والمزيد من التقدم ـ فى مختلف مجالات الحياة، المادية والمعنوية.

[٤) بناء حضارة إنسانية خيرة:

ففى بناء وتنمية التربية الإسلامية للإنسان الصالح الخير، وبناء وتنمية الأمة الخيرة، توفير لتلك اللبنات الصالحة والتربة المناسبة لبناء خير حضارة إنسانية. وكما يتم بناء الإنسان الصالح وبناء الأمة الخيرة على أساس العبودية لله، فإن بناء الحضارة الإسلامية الخيرة يتم على أساس العبودية لله وحده؛ ليتحقق لها النمو والازدهار، والضبط والتوجيه نحو الخير والصلاح.

وتهدف التربية الإسلامية بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية الخيِّرة، التى تعنى بالتقدم والرقى المادى والمعنوى، فى جميع ميادين الحياة: الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفنية وغيرها على أن يكون ذلك التقدم بوسائل مشروعة، وموجهًا نحو غايات خيرة، تسعد الأفراد والمجتمعات والإنسانية جميعًا. ويتم كل ذلك بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامى(٤٠).

ولهذه الحضارة الإسلامية عدة سمات، لعل من أبرزها:

١- واقعية تلك الحضارة، بقيامها على العلم والتقدم العلمى، وظهور ثمارها على أرض الواقع والانتفاع بها فى الحياة.

٢- شمولية التقدم والرقى لجميع جوانب وميادين الحياة: الزراعية والصناعية والتجارية والعمرانية والعسكرية والأخلاقية والاعتقادية والفنية والجمالية، وغيرها من جوانب مادية أو معنوية.

٣- تكاملية جوانب التقدم والرقى ـ المادية والمعنوية.

٤- مشروعية الوسائل والأساليب التى يتم بها التقدم الحضارى.

٥- سمو الغاية ونبل الأهداف من ذلك التقدم.

٦- إنسانية وعالمية الحضارة الإسلامية.

خصائص التربية الإسلامية:

للتربية الإسلامية العديد من الخصائص، التى تخصها وتميزها ـ فى نفس الوقت ـ عن بقية أنواع التربيات الأخرى. تلك الخصائص التى يمكن تقديم أبرزها على النحو التالى:

أولاً: التربية الإسلامية تربية سامية: سامية فى مصدرها، وفى وسائلها، وفى غايتها وأهدافها. فمصدرها الأساسى ـ الذى تنبثق منه وتدور حوله المصادر الأخرى ـ هو القرآن الكريم: هو قول الحق تبارك وتعالى، المنزه عن الهوى والغرض والظلم والجور. ومصدرها الأساسى هذا، ليس بفكر وضعى قاصر، وليس بديانة أصابها التحريف والتغيير والمسخ والتشويه. ومصدر التربية الإسلامية الأساسى هو قول الحق، وهو المحفوظ من قبله سبحانه وتعالى، حيث قال وقوله الحق: **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** [الحجرات: ٩]. فكان ذلك المصدر ولازال وسيظل صافيًا ونزيهًا.

وهى تربية سامية فى غايتها وأهدافها. بتحقيق عبودية الإنسان لله وحده، «وتحرره من العبودية لغير الله». بتحقيق بذلك سعادة الإنسان المسلم فى الدنيا والآخرة، وتحقق بالتبعية سعادة المجتمع المسلم(٤١). فيتحقق الخير والسعادة للجميع، أفراد ومجتمعات، حيث إنها منزهة عن الهوى والغرض، أو الميل لصالح الحكم أو الطبقة الحاكمة، أو لأى اعتبارات عنصرية، فانظر لسمو تلك التربية ونزاهتها، التى انتهجها المصطفى ﷺ مع صحابته، فى أحد مواقفها. حيث روى «أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت. فقالوا: من يكلم فيها رسول الله؟ فقالوا: من يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول

الله؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٤٢].

وهى تربية سامية فى طرقها ووسائلها. ولا تتم إلا بالطرق الصحيحة وبالوسائل المشروعة. فلا يغذى الإنسان إلا بالغذاء الحلال ومن الرزق الحلال. ولا تشبع رغباته الجنسية إلا بالطريق المشروع. ولا ينمى أى من جوانب شخصية الفرد إلا بالوسائل المشروعة. وما يصدق على تنمية جوانب شخصية الفرد، يصدق كذلك على جوانب شخصية المجتمع. فلا ينمى الجانب الاقتصادى فى المجتمع بالغش والسلب والنهب والربا والتطفيف فى الكيل والميزان... ولا ينمى الجانب السياسى بعيدًا عن النزاهة والعدل والشورى وتكافؤ الفرص... ولا ينمى الجانب الفنى والحضارى باللهو والعبث وبالخلاعة والمجون، ولا بالتسيب والانحلال، ولا بالفوضى والغوغائية، ولا بالتسلق على اكتاف الآخرين وابتزاز أموالهم وثرواتهم... إلى غير ذلك من جوانب فى شخصية المجتمع لا تتم تنميتها إلا بالطرق والوسائل المشروعة.

ثانيًا: التربية الإسلامية تربية شاملة: فتتسع التربية الإسلامية لتشمل كل جوانب شخصية الإنسان وحياته، وكل علاقاته، مع نفسه ومع الآخرين. وتتسع فى اهتمامها بالمجتمع فتشمل كافة جوانب شخصيته والحياة فيه، بل وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى، وبالتالى تتسع فى اهتمامها بالحضارة بأبعادها وجوانبها المختلفة.

فهى شاملة فى اهتمامها بجميع جوانب شخصية الانسان: جسميًا وعقليًا واعتقاديًا وروحيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا ونفسيًا واراديًا وجنسيا وجماليًا[٤٣]. وشاملة فى اهتمامها بإعداد الفرد ليكون إنسانًا صالحًا فى دنياه، وفائزًا بأخراه. وهى شاملة فى اعداده ماديًا وروحيًا، وفى إعداده ليكون منسجمًا ومتكيفًا مع نفسه ونافعًا لها، وليكون منسجمًا ومتكيفًا مع الآخرين ونافعًا لهم، وليكون عابدًا لله وناثلاً لرضاه.

وهى شاملة فى اهتمامها بجميع جوانب شخصية المجتمع: دينيًا وخلقيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعسكريًا وعلميًا وحضاريًا[٤٤]. وشاملة فى اهتمامها بتنمية المجتمع ماديًا ومعنويًا، وفى اهتمامها بتنميته ليعود بالخير والازدهار عليه وعلى أفراده، وعلى المجتمعات الأخرى والإنسانية.

وهى شاملة فى اهتمامها ببناء خير حضارة، ومن جميع جوانبها المادية والمعنوية[٤٥]. تلك الحضارة التى تشمل بنفعها وخيرها كل البشرية.

ثالثًا: التربية الإسلامية تربية متكاملة: فتهتم بتنمية الفرد ككل ومتكامل من جميع جوانب شخصيته، ولا تتعامل مع أى من تلك الجوانب بمعزل عن بقية الجوانب. كما تهتم بتنمية المجتمع ككل ومتكامل من جميع جوانب شخصيته.

ففى اهتمام التربية الإسلامية بتنمية الجانب الجسمى ـ مثلاً ـ من شخصية الفرد، اهتمام بتنمية بقية الجوانب من الشخصية، إذ فيها اهتمام بالجانب العقلى ـ لأن العقل السليم فى الجسم السليم.. واهتمام بالجانب الاجتماعى، إذ سلامة الجسم وصحته مما يمكن الفرد من خدمة الآخرين، وتكوين علاقات اجتماعية قوية معهم.. واهتمام بالجانب الإرادى، وبغيره من بقية الجوانب. وتعود هذه الجوانب لتساهم بدورها فى تنمية الجانب الجسمى وغير الجسمى. فالعقل السليم يمكن صاحبه من التعامل مع الآخرين وفق معايير اجتماعية مقبولة، فينمو بذلك نموًا اجتماعيًا. والعقل السليم يضبط تصرفات صاحبه من أن يضعف إراديًا، أو أن ينحرف جنسيًا، أو أن يلحق الضرر بجسمه وبصحته. كما توفر سلامة العقل ورجاحته جوًا للإلمام بتعاليم الدين، وجوًا للتبصر والتدبر فى ملكوت الله وفى دقة صنعته، بما يعود بتنمية للجانب الاعتقادى؛ وبسمو للروح ونمو للجانب الروحى، وبتقوية للصلة بالخالق. وتسعى التربية الإسلامية دومًا إلى ربط العلم بالإيمان وتنمية العقيدة بتنمية العقل. فبقدر اهتمامها بدراسة الحقائق العلمية، تهتم بدراسة أهمية هذه الحقائق وضرورتها للحياة ودلالتها على عظمة الخالق ودقة صنعته. وهكذا الحال فى بقية الجوانب بالشخصية، التى توثر وتتأثر، وتتكامل معًا فى بناء تلك الشخصية.

وانظر ـ مثلاً ـ لتحريم ديننا الإسلامى لتعاطى الخمور وما فى حكمها من

مسكرات ومخدرات، لتجد فيه تربية وحماية شاملة ومتكاملة ـ فى نفس الوقت ـ لمختلف جوانب الشخصية. إذ فى تعاطى الخمور والمخدرات هدم للصحة وتحطيم للجسم، وتدمير للعقل، ومعصية للخالق وخراب للعلاقة معه والصلةَ به، وانحراف وبعد عن القيم والفضيلة، وانهيار للعلاقات الاجتماعية مع الآخرين. وفى تعاطى الخمور والمخدرات هدم للسعادة وتحطيم للصحة النفسية، وسلب للإرادة، وانحدار فى مستنقع الانحرافات الجنسية. وفى تعاطى الخمور والمخدرات فقد للذة الحياة المشروعة ومتعتها، وتخلٍ عن معايير الذوق والجمال فيها.

أضف إلى ذلك آثار المخدرات السلبية على كيان المجتمع وشخصيته... كانحدار اخلاقياته، وانحلال قيمه، وتفكك أواصره الاجتماعية، وانعدام أمنه واستقراره، وانهيار اقتصاده، إلى غير ذلك من سلبيات، حرص الدين الإسلامى على وقاية المجتمع منها بتحريمه للمخدرات بكل أنواعها.

والتربية الإسلامية عندما تتعامل مع المجتمع، فإنما تتعامل معه ككل متكامل، ولا انفصال فيه بين العلم والدين، ولا بين الفن والأخلاق، أو الدين والسياسة، أو الدين والاقتصاد... الخ. وتتعامل مع هذه الجوانب كأعضاء فى جسد واحد، يؤثر كل منها فى بقية الأعضاء ويتأثر بها فى نفس الوقت.

كما نجد ذلك التكامل فى التربية الإسلامية «بين الوسائل والأهداف، وبين النظرية والتطبيق، وبين العلم والعمل». كما نجده «بين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية. إذ هى لا تقتصر على مكان دون مكان، فهى تتم فى أى مكان، وفى الشارع، وفى النادى، وفى العمل، وفى المسجد، وفى المدرسة»[٤٦]، وفى المنزل، وفى أى مكان يوجد فيه الإنسان.

رابعًا : التربية الإسلامية تربية واقعية: فهى واقعية فى تنميتها للفرد، وواقعية فى تنميتها للمجتمع، وواقعية فى قيامها على العلم والمعرفة وبعيدًا عن الخرافة والسذاجة.

فلم تقل التربية الإسلامية بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التى يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع. وإنما قالت بما يكفل البناء الحقيقى للشخصية وعلى الواقع. فانظر لاهتمامها بالجانب الجسمى لترى حرصها على ضرورة التغذى بالطيبات وعدم تناول الخبائث والأغذية الفاسدة التى تجلب الضرر والأمراض وتلقى بالصحة للتهلكة، وما قالته من ضرورة الوقاية والعلاج من الأمراض. . . وانظر لاهتمامها بالجانب العقلى، لترى حرصها على ضرورة تغذية العقل بالغذاء المادى والمعنوى الطيبين. وما قالته من ضرورة إعمال العقل وتدريبه على التفكير السليم، وبعيداً عن الخرافة والسذاجة، وما قالته من ضرورة تجنيب العقل من كل مسكر ومخدر، ومن كل ما يشوش نظامه أو يتلفه. . . وانظر لاهتمامها بمختلف جوانب شخصية الفرد لترى ما قالته بشأن تنمية تلك الجوانب تنمية واقعية.

كما قالت التربية الإسلامية بما يكفل البناء الحقيقى للمجتمع وعلى الواقع. حيث قالت بما يبنى اقتصاد المجتمع بناءً سليمًا وواقعيًا، وبناءً يقوم على العمل وزيادة الانتاج، والسعى فى الأرض طلبًا للرزق وعملاً على إعمارها. كما قالت ـ فى نفس الوقت ـ بالبعد عن التكاسل والتسول، وبتحريم الغش والسرقة والتطفيف فى الكيل والميزان والربا واكل أموال الناس بالباطل. . . وحيث قالت بما يبنى المجتمع بناءً اجتماعيًا سليمًا وواقعيًا، بناءً يقوم على التعاون والتضامن والتماسك والتكافل الاجتماعى، وبعيداً عن الكذب والنفاق والغيبة والنميمة وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية التى تفت من عضد المجتمع وتماسكه. . . وحيث قالت بما يبنى المجتمع بمختلف جوانب شخصيته بناءً واقعيًا.

والتربية الإسلامية تربية واقعية فى قيامها على العلم والمعرفة، وبعيداً عن الخرافة والتخمينات الساذجة التى لا تستند إلى أساس علمى ـ أى هى (تربية علمية). فالإسلام قد حث الناس على أن يعملوا عقولهم وأن يتفكروا ويتدبروا فى عظيم صنع الله. فذلك الحق تبارك وتعالى كلما ذكر بعضًا من آياته فى

مخلوقاته، قرنها بضرورة التفكر والتدبر فيها. كقوله سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وقوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الروم: ٨]. وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]. وكذلك قول الرسول الكريم: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أكثر من العقل... ولا عبادة كالتفكر»[٤٧]. وقوله ﷺ: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة ـ وفى لفظ ستين سنة»[٤٨]... إلى غير ذلك من آيات وأحاديث تحث على التفكر والتدبر فى مخلوقات الله. «لأن التدبر فى ذلك كله يكشف عن عظمة الله وقدرته»، من جهة، و«يفيد الإنسان فى حياته، فيكشف الكثير من الأمور والأختراعات التى تستفيد منها الإنسانية»[٤٩]، من جهة ثانية.

كما حذر الإسلام من أن يتصرف الإنسان عن جهل، حيث قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن دروس التربية العلمية فى هذا المجال والتى تحارب الخرافة والتفكير الخرافى، موقف الرسول من أصحابه يوم وفاة ابنه إبراهيم. «فقد حدث أن كسفت الشمس فى ذلك اليوم. فقرن أصحابه بين الوفاة والكسوف، وأخذوا يتحدثون عن ذلك. فما كان من الرسول صلوات الله عليه إلا أن وضح لهم أن الشمس لا تكسف لموت أحد ولا لحياة أحد... وهكذا كان ﷺ حريصًا على أن يبعد أصحابه عن الخرافات والترهات والسخافات، وعلى أن يكونوا واقعيين علميين فى نظرتهم إلى الحياة والكون»[٥٠].

خامسًا : التربية الإسلامية تربية مستمرة: فهى تربية مستمرة باستمرار حياة الإنسان. و«لا تنتهى بفترة زمنية معينة، ولا بمرحلة دراسية محددة. وإنما تمتد

على طوال حياة الإنسان كلها. فهى تربية من المهد إلى اللحد، وهى تربية متجددة باستمرار تنمى شخصية الفرد وتثرى إنسانيته، كما أنها تأخذ به إلى الأمام فى طريق النمو والتقدم المستمرين»[٥١].

بل هى تربية تسبق فى اهتمامها بالفرد، وجوده بالمهد، وتستمر معه حتى وفاته. حيث حرصها على أن تُهيَّأ له ـ قبل أن يصبح جنينًا ـ البيئة المناسبة للإنبات وللنمو السليم، بتأكيدها على التخير للنطف، لأن العرق دساس، ولأن الوراثة يمكن أن تنقل أمراضًا من جيل الآباء إلى جيل الأبناء. وتستمر فى اهتمامها به حال وجوده جنينًا فى بطن أمه، وبعد ولادته، ورضيعًا، وطفلاً، ومراهقًا، وشابًا، وكهلاً، وحتى آخر حياته.

ولم يكتف الإسلام بالحث على طلب العلم، بل أمر بالاستمرار فى طلبه وحيثما كان. وجعل ذلك بمثابة الفريضة الواجبة على كل مسلم. فقال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٥٢]. وقال الحق تبارك وتعالى مؤكدًا على الاستزادة من العلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. وقال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وانطلاقًا من توجيهات الإسلام يتحتم على المسلمين اليوم الاستمرار فى طلب العلم النافع، من شتى الأماكن، وفى مختلف فروع العلم والمعرفة. «فالإنسان يظل فى حاجة إلى العلم والمعرفة ما دام على قيد الحياة. ومن الواضح أن معطيات العلم فى تجدد دائم، وأن على الإنسان كى يواكب روح العصر أن يجدد نفسه دائمًا. فالحقائق العلمية فى تزايد مستمر، وأساليب المعرفة وطرائقها فى تبدل دائم. فإذا تقوقع المرء على معرفته، وحبس نفسه ضمن دائرة معينة من غير أن يواكب ما يجرى فى العالم من تجارب علمية ومعطيات جديدة، فإن أفقه يضيق، وتكون نظرته عاجزة عن التكيف مع الحياة الجديدة المتغيرة»[٥٣].

سادسًا : التربية الإسلامية تربية متوازنة: فهى متوازنةٌ فى تنميتها لجوانب

شخصية الفرد، بحيث لا يغفل جانب أو يهتم بجانب على حساب بقية الجوانب. فلا ينمى الفرد ماديًا وحسب، كما لا ينمى روحيًا فقط. وإنما ينمى ماديًا وروحيًا وفى توازن دقيق بينهما. وبالتالى لا ينمى لحياته الدينية وحدها، ولا يعد لآخرته على حساب دنياه، وإنما هى تربية «توخت الاعتدال فى الحياة. فدعت إلى أن يتمتع الإنسان فى هذه الحياة الدنيا، ولكن فى الوقت نفسه عليه أن ينجز الواجبات المترتبة عليه إزاء ربه»، فيعبده حق العبادة.

وليست العبادة الحقة فى أن يقف المرء نفسه عليها دون غيرها، وأن يترك أعماله الدنيوية، وليس من الإيمان فى شىء أن يتوجه الإنسان نحو أعماله الدنيوية ناسيًا ما يتوجب عليه إزاء خالقه من تعبد. وعلى الرغم من نظرة الإسلام إلى أن الحياة الدنيا إنما هى مرحلة لحياة ثانية، فقد دعا إلى أن يتمتع الإنسان فى حياته، وألا يعمد إلى قهر نفسه. وقد أبان المصطفى ﷺ وبشكل جلى أنه ليس خيرنا من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا. ولكن خيرنا من أخذ من هذه وهذه[٥٤]. كما أكد المولى سبحانه وتعالى على ذلك فى قوله: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

فالتربية الإسلامية تربية تنشد الاعتدال والتوازن بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة. وفى مثل ذلك يقول الشاعر[٥٥]:

ليس التعبد أن تبيت على الطوى ... وتروح فى خرق من الأثواب
لكنه إنقاذ نفس معذّب ... من ربقة الآلام والأوصاب
ليس التعبد عزلة وتنسكًا ... فى السهل أو فى القفر أو فى الغاب
لكنه ضبط الهوى فى عالم ... فيه الغواية جمة الأسباب
وحبائل الشيطان فى جنباته ... والمال فيه أعظم الأرباب
هذا هو الرأى الصواب وغيره ... مهما حلا للناس غير صواب

وهى تربية متوازنه فى بنائها لجوانب شخصية المجتمع[٥٦]، المادية والروحية، بحيث لا يكون مجتمعًا ماديًا يعبد المادة ويقدس التقدم المادى، ولا يكون مجتمعًا متخلفًا ماديًا وحضاريًا ومتفرغًا للروحانيات وحدها. إنما هو مجتمع ينمى ماديًا: زراعيًا وصناعيًا وتجاريًا ومعماريًا وعسكريًا... الخ، ويبنى أيضًا اعتقاديًا وتعبديًا وخلقيًا واجتماعيًا وانسانيًا... إلى غير ذلك من جوانب معنوية أو مادية، أو معنوية مادية فى آن واحد.

ثم هى تربية متوازنة فى اهتمامها بالفرد والمجتمع معًا. فالفرد «عضو اجتماعى، ولا وجود له بنفسه. فهو يعيش فى المجتمع وللمجتمع وبالمجتمع. كما أن المجتمع لا وجود له إلا فى داخل الأفراد الذين يكونونه. والمجتمع كالجسم، فلكى يحيا الجسم لابد أن تنمو أعضاؤه كلها، وأن تؤدى وظائفها بكل دقة ونظام. ولابد لبقاء المجتمع من أن يؤدى كلُّ فرد عمله، ويقوم بوظيفته فى اتساق وانتظام مع بقية أفراد المجتمع. فإذا عرف كل فرد فى المجتمع دوره وواجباته ومسئولياته نحو الآخرين نهض المجتمع. أما إذا تهاون كل فرد فى واجباته وأغفل مسئولياته أدى ذلك إلى انهيار البنية الاجتماعية»[٥٧].

لقد أعطت التربية الإسلامية للفرد قيمة إنسانية، وأعطته الحرية فى ممارسة حقوقه الطبيعية، ولكن فى إطار الأخلاق الفاضلة دون الإخلال بواجباته تجاه الآخرين: فى الأسرة، وفى المجتمع الذى يعيش فيه، بل وتجاه الآخرين فى الامة الإسلامية، وفى المجتمع الإنسانى بكامله. كما جعلته مسئولاً عن تصرفاته أمام الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ [الإسراء: ١٣-١٥]. كما وزع الرسول ﷺ المسئولية على كل فرد بالمجتمع، حيث قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...»[٥٨]. فلم يعف

أحداً من المسئولية عن حماية المجتمع والعمل على تقدمه ورقيه وازدهاره. ويعود ذلك لينعكس على أفراد المجتمع بالسعادة والتنعم.

سابعًا : التربية الإسلامية تربية متطورة ونامية (وصالحة لكل زمان): فهى ليست بجامدة فى قالب ثابت، أو لفترة زمنية محددة، أو «لجيل دون ما يستقبل من أجيال»[٥٩]. وليست مرنة بغير حدود. لأن المرونة و«الانفتاح بغير حدود، يؤدى إلى مسخ الشخصية الإسلامية»[٦٠]. فهى صالحة لكل زمان منذ أن أعلن النبى ﷺ دعوة ربه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهى ثابتة ومرنة بما يجعلها متطورة ونامية وصالحة لكل زمان، فهى ثابتة فى «قواعدها الإساسية، فيما يجب أن يخلد ويبقى، فى اطارها العام. ثم أن هناك أموراً متغيرة، تتغير تبعًا لظروف المجتمع، مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية، لمواجهة مثل هذه الأحوال.

ويتمثل الثبات فيما أتى به القرآن الكريم من أهداف عامة للتربية، ومجالاتها العامة، رغم مرونتها، حيث يمكن الزيادة عليها. وكذلك محتويات المجالات، مما نص عليه القرآن وأوضحته السنة. فأمهات الفضائل الإسلامية فى الأخلاق، تلتزم بها التربية الأخلاقية، والقواعد القطعية فى تنظيم المجتمع أيضًا لا يجوز التبديل فيها أو تعليم غيرها... أما الحركة والمرونة فتتمثل فى المصادر الاجتهادية، وهى ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له، زمانًا ومكانًا وحالاً.

وبهذه الميزة يمكن للتربية الإسلامية أن تعيش وترتقى، ثابتة على أصول وقيم وغايات، متطورة فى معارفها وأساليبها وأدوات بحثها فى سبيل إنتاج أرقى وأسرع»... والتطور والنمو الذى تمتاز به تلك التربية «يخضعان دومًا للقيم الإنسانية الثابتة فى القرآن. ومعنى هذا أن الانفتاح على ثقافات العالم، ونظمه التربوية، وحضارات العالم، وأخذ الجيد منها، مما يمكن أن ينفع فى النظام التربوى الإسلامى، بحيث لا يتعارض مع الثوابت ـ لمن الواجبات، التى يجب أن تأخذ بها تلك التربية»[٦١].

ثامنًا : التربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية (وصالحة لكل مكان): فهى تربية

لكل البشرية، وصالحة لكل بقعة من بقاع العالم. وعندما تعد، فإنما تعد (الإنسان) الصالح، وليس المواطن الصالح ـ الذى قد ينحصر صلاحه فى نطاق موطنه المحدود. وذلك لأن الدين الإسلامى دين للبشرية جميعًا. وفى تأكيده على وحدة الخلق والمنشأ لكل الجنس البشرى، تأكيد عالميته، ومن ثم عالمية التربية الإسلامية. فقال سبحانه وتعالى مخاطبًا كافة البشرية: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات]. كما قال رسوله الكريم ﷺ: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب»[٦٢]، وفى رواية: «الناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»[٦٣].

والتربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية لأنها ترفض التفرقة العنصرية. وعند تربيتها للفرد لا تربيه ليكون مميزًا على غيره، اللهم إلا إذا كان تميزه بالعمل الصالح، الذى يعود عليه وعلى الآخرين بالخير والنماء. وعند تربيتها وتنميتها للجماعة وللمجتمع وللعالم، لا تربيهم ليكون فريق منهم مستعبدًا لفريق. بل الكل متحاب ومتآخ ومتكاتف ومتكافل، والكل متعاون على البر والتقوى وعلى الخير والصلاح.

والتربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية لأنها تخلو من الاحتكار العلمى الذى يمكن أن نراه فى التربيات الأخرى. فتهتم بتقديم العلم وثماره لكل من يطلبه ويحتاجه ـ وهى فى نفس الوقت تحث الجميع على طلبه ـ بغض النظر عن اعتبارات الجنس أو اللون أو الدين... إلخ. فذلك رسول الله ومعلم البشرية يحذر من كتمان العلم بقوله: «من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٦٤]، وفى رواية: «ما من رجل يحفظ علمًا فيكتمه، إلا أُتى به يوم القيامة ملجمًا بلجام من النار»[٦٥].

ولذلك كانت هذه الخاصية، المميزة للتربية الإسلامية، سببًا فى انتقال الحضارة الإسلامية فى عصورها الذهبية، وبشتى علومها، إلى أوربا فى عصورها المظلمة، عن طريق الأندلس الإسلامية يوم أن كانت منارة للعلوم والحضارة الإسلامية.

هوامش الفصل الأول

(١) محمود أحمد السيد: **معجزة الإسلام التربوية**، الكويت، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) محب الدين أبو صالح، وآخرون: **أصول التربية الإسلامية**، الرياض، مطبعة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ص ٨. فى: خالد بن فهد العودة: **الترويح التربوى رؤية إسلامية**، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ، ص ٣٩.

(٣) على أحمد مدكور: **منهج التربية الإسلامية**، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٧هـ، ص ٧٨.

(٤) سعيد اسماعيل على: **أصول التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨، ص ٦.

(٥) مقداد يالجن: **أهداف التربية الإسلامية وغايتها**، الجزء الثانى من موسوعة التربية الإسلامية، الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠.

(٦) سعيد اسماعيل على: **الأصول الإسلامية للتربية**، القاهرة، دار الفكر العربى، ط٣، ١٩٩٢، ص ٧٩.

(٧) محمد شديد: **منهج القرآن فى التربية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٦٧.

(٨) فى: عبد الحليم محمد: **القرآن والنبى ﷺ**، القاهرة، دار الكتب الحديثة، د. ت، من ص ٥٩، ٦٠.

(٩) سعيد اسماعيل على: **الأصول الإسلامية للتربية**، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(١٠) محمد رأفت سعيد: **الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم**، الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٧٠.

(١١) المرجع السابق، ص ٧٤.

(١٢) صالح سالم باقارش، وعبد الله محمود السبحى: **أصول التربية العامة والإسلامية**، حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٦هـ، ص ١٦٠.

(١٣) سعيد اسماعيل على: **الأصول الإسلامية للتربية**، مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(١٤) سعيد اسماعيل على: **اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٥٥.

(١٥) صالح سالم باقارش، وعبد الله محمود السبحى: مرجع سابق، ص ١٦٠.

(١٦) محمد رأفت سعيد: مرجع سابق، ص ١٣٠.

(١٧) أحمد محمد جمال: **نحو تربية إسلامية**، (١١) من الكتاب العربى السعودي، جدة، تهامة للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ١٢٢.

(١٨) (أ) مكتب التربية العربى لدول الخليج: **من أعلام التربية العربية الإسلامية**، (جـ٢، جـ٣، جـ٤)، الرياض، مطبعة مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، صفحات متفرقة.

(ب) صالح سالم باقارش، وعبد الله على الآنسى: **مشاهير الفكر التربوى عبر التاريخ**، مكة، شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ص ٢٩٢ - ٣٧٠.

(١٩) عبد الغنى عبود: **فى التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٧، ص ١٥١.

(٢٠) صالح أحمد الشامى: **من معين السيرة**، بيروت، المكتب الإسلامى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤، ص ص ١٤٠، ١٤٧.

(٢٠) الحافظ أسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس**، جـ١، تعليق: أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، حديث ٣٩٧.

(٢٢) المرجع السابق، حديث ١١٥٩.

(٢٣) الحافظ اسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس**، جـ٢، تعليق: أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م حديث ١٧٦٦.

(٢٤) محمد عطية الأبراشى: **التربية الإسلامية وفلاسفتها، القاهرة**، دار الفكر العربى، ط٣، ١٩٧٦، ص ٣٩.

(٢٥) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب: **السبق التربوى فى فكر الشافعى**، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٢٧.

(٢٦) على خليل أبو العينين: **فلسفة التربية فى القرآن الكريم**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٠، ص ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢٧) مقدار يالجن: مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢٨) سعيد اسماعيل على: **اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى**، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢٩) مقداد يالجن، مرجع سابق ص ٣٩.

(٣٠) سعيد اسماعيل على: **اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى**، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣١) إرجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الثالث من الكتاب.

(٣٢) ابن ماجة: **صحيح سنن ابن ماجة**، جـ٢، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى، الرياض، مكتب التربية العربى لدول الخليج، ط ٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، حديث ١٧٣٩.

(٣٣) زكى الدين المنذرى: **الترغيب والترهيب**، جـ٢، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، ط ٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٥٢٤.

(٣٤) الحافظ اسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس**، جـ١، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(٣٥) ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**، جـ٢، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمى، الرياض، شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، حديث ٢٢١٦.

(٣٦) سعيد اسماعيل القاضى: «المبادئ التربوية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، **مجلة كلية التربية ببنها**، جـ١، كلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق، يناير ١٩٩٥، ص ٣٢.

(٣٧) ابن سينا: **كتاب السياسة** ـ مخطوطة رقم (١)، فى: هشام نشابه: **التراث التربوى الإسلامى فى خمس مخطوطات**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨، ص ص ٤١-٤٢.

(٣٨) كليمنص شحادة، وآخرون: **التربية الصحية والاجتماعية فى دور الحضانة ورياض الأطفال**، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٦، ص ٢٤٢.

(٣٩) إرجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الرابع من الكتاب.

(٤٠) ارجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الخامس من الكتاب.

(٤١) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢٩٧.

(٤٢) الإمام النووى: **رياض الصالحين**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣، ص ٤٣٠.

(٤٣) إرجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الثالث من الكتاب.

(٤٤) إرجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الرابع من الكتاب.

(٤٥) ارجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الخامس من الكتاب.

(٤٦) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٣٩٨.

(٤٧) الحافظ اسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس**، جـ٢، مرجع سابق، حديث ٣٠٣٨.

(٤٨) الحافظ اسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس**، جـ١، مرجع سابق، حديث ١٠٠٤.

(٤٩) محمود أحمد السيد: مرجع سابق، ص ٩٢.

(٥٠) المرجع السابق، ص ٩٣ - ٩٤.

(٥١) محمد منير مرسى: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٢، ص ٦٨.

(٥٢) ابن ماجة: **صحيح سنن ابن ماجة**، مرجع سابق، حديث ١٨٣.

(٥٣) محمود أحمد السيد: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٥٤) المرجع السابق، ص ص ٣٦-٣٧.

(٥٥) المرجع السابق، ص ص ٣٧-٣٨.

(٥٦) ارجع إلى تفصيل ذلك فى الفصل الرابع من الكتاب.

(٥٧) محمود أحمد السيد: مرجع سابق، ص ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٥٨) الإمام النووى: **رياض الصالحين**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى، بيروت، المكتب الإسلامى، ط ٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧١.

(٥٩) محمد رأفت سعيد: مرجع سابق، ص ٨٩.

(٦٠) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٦١) المرجع السابق، ص ص ٣٠٠-٣٠١.

(٦٢) محمد ناصر الدين الألبانى: **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، جـ٢، بيروت، المكتب الإسلامى، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، حديث ٤٥٦٨.

(٦٣) أبو داود: **سنن أبى داود**، جـ٥، تعليق: عزت عبيد الدعاس، حمص، نشر وتوزيع محمد على السيد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، حديث ٥١١٦.

(٦٤) الترمذى: **سنن الترمذى**، جـ٢، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط ٥، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥، ص ٢٩.

(٦٥) ابن ماجة: **صحيح سنن ابن ماجة**، مرجع سابق، حديث ٢١٠.

• • •